العرب
الأحد 2021/04/25
السنة 43 العدد 12041

«سعاد والعسكر».. دراما الواقع وعسكرة الفن

سيرة عراقية للسندريلا المصرية في كفاحها ضد نفسها وضد العسكر

نالت الفنانة المصرية سعاد حسني شهرة منقطعة النظير في عالم الشاشة الكبيرة، وصارت "السندريلا" كما تلقب محط أنظار الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج، لكن كل ذلك كان يخفي وراءه الكثير من الحقائق، حيث يرى الكثيرون أن المخابرات العسكرية ساهمت في نجاح الفنانة والتحكم بها، فيما جاءت وفاتها المريبة لتثير الشكوك والسيناريوهات حتى بعد عشرين سنة من رحيلها. وآخرها رواية العراقي نجم والي "سعاد والعسكر" التي قدمت رؤية أخرى تجمع الواقع بالخيال.

في إطار المشبوه كانت سعاد تنمو كنبتة سامة

وارد بدرالسالم
روائي عراقي

سيكون من قبيل المغامرة الفنية أن يشتبك الواقعي الصرف بالخيالي المفتوح، إلى الحد الذي يكوّن فيه الاثنان نسيجا صوريا موحدا، يتكامل في السرد ويعزز أحدهما الآخر. وهذا التوأم بلا شك سيخلق من الهوامش والمتون نسجا فنيا يختبر قدرة الكاتب على إحكام مثل هذا النسيج المركّب، لاسيما عندما تكون الثيمة المركزية لشخصية فنية أو اجتماعية معروفة على الصعيد الشعبي. وهو ما يجعل التلقي العام منجذبا إلى الفكرة العامة. وهذه أولى العتبات النصية التي ترشّح القارئ لأن يكون في تمام الثيمة ومحاورتها.

العراقي نجم والي المقيم في ألمانيا، أصدر رواية جديدة بعنوان "سعاد والعسكر". وربما تُعد مغامرة سردية أن يتناول والي شخصية الفنانة المصرية سعاد حسني، في بدايات نشأتها ومن ثم شهرتها السينمائية والغنائية، والظروف المحيطة بها عسكريا ومخابراتيا، تلك التي أدّت إلى مقتلها أو انتحارها في لندن.

سيرة سردية

ثيمة رواية "سعاد والعسكر" تحتاج إلى وثائق وشهادات وانحيازات فنية، من شأنها أن تتصرف بكل ما هو متاح من مرجعيات واقعية وتاريخية شخصية. ثم المعاودة إلى العصر السياسي الذي نشأت فيه سندريلا الشاشة العربية كما يُطلق عليها. وتحليله طبقا لقواعد الفترة الزمنية التي بدأت فيها المخابرات المصرية بتجنيد الفنانات، والوقوف وراء شهرتهنّ وانتشارهنّ الجماهيري. لكن لن يكون هذا التفصيل ضروريا بالضبط، بفرضية أن الخيال السياسي هو ذاته الخيال السردي الذي تعامل معه المؤلف في هذه المتوالية الروائية عن الفنانة سعاد حسني. لهذا لن تكون الرواية سِيَريّة في وثائقيتها المعروفة عندما أخرج والي من الوثيقة وسيرتها الواقعية ما هو صالح للروي، وملأ الفجوات المحتملة بالخيال السردي الذي كان له دور في تشكيل سردية فيلمية، ودراما روائية تعرّف بزمنها وظروفه، بدءا من النشأة الداخلية كخلفية اجتماعية لهذه الفنانة.

ولدت الفنانة في حي بولاق في القاهرة، لأب ترجع أصوله إلى الشام، هو محمد كمال حسني البابا الخطاط العربي الشهير ووالدتها جوهرة محمد حسن صَفّور تنتمي إلى عائلة حمصية.. طُلّق والداها وتزوجا وهي صغيرة، وتزوجت خلال حياتها خمس مرات، أوّل زواج لها كان من عبدالحليم حافظ، ولم تنجب أي ابن أو بنت لها.

تطالعنا هذه السيرة المقتضبة بنوع من التفكك الاجتماعي الأسري الذي عانت منه الفنانة سعاد حسني، وهذا أمر لا بد من الانتباه إليه واقعيا. فهو ما سينعكس سرديا في مستقبل الرواية، لما صارت هذه الفتاة في مهب العسكر ومخابراته الذين تعاملوا معها وفق سياقات شَرَفيّة –اجتماعية– فضائحية (تم تصوير إزالة بكارتها وتم تهديدها أخلاقيا) لتكون بالتالي ضمن شبكة (نساء الفرقان) التي تضم فنانات ونساء من مختلف الطبقات وفي الأعمار كلها، من اللواتي تم تجنيدهنّ لصالح العسكر بالتجسس وتجميع المعلومات من الشخصيات المهمة محليا وعربيا، في إطار تعاملهن السينمائي والفني العام.

وفي هذا الإطار المشبوه تنمو سعاد كنبتة سامة في محيطها الاجتماعي والفني تحت القهر النفسي والورطة التي لا بد من أن تعيها جيدا في مستقبل حياتها المحفوف بالهوامش الطفيلية، لتعرف أن الثمن الذي ستدفعه سيكون باهظا. وهو ما حدث واقعيا وسرديا ضمن الوثيقة الاجتماعية الأخيرة التي تم التحقق منها.

التورط مع العسكر

يطالعنا والي في التسارد المتلاحق، بعيدا عن الوثيقة الواقعية، عبر الفصول الروائية دفتر أو دفاتر سعاد حسني واعترافاتها بالعلاقة مع العسكر منذ بداياتها حتى نهايتها الكارثية. بوجود شخصيات ثانوية ورئيسية تختفي وتظهر، تبعا لموجات السرد التي أحاطت بموهبة هذه الفنانة الصغيرة منذ كانت بعمر ست سنوات، والتي احتواها الملك فاروق وأعجب بفطنتها وفطرتها وهي تغني "أنا سعاد أخت القمر.. بين العباد حسني انتشر.. طولي شبر ووجهي بدر.. صوتي سحر كلي بشر"، خلافا لبنات جيلها وفي هذا الموقف الذي يغنين فيه عادة للملك والإشادة بسلطته.

وربما كانت هذه هي البداية التي لفتت أنظار العسكر المتخفين بجلباب التلصص على المواهب الصغيرة. ومن هذا الهامش الذي قد لا يلفت النظر، إلى سرديات ما بعد إعجاب الملك الذي صرف للمغنية الصغيرة 1000 جنيه لتعليمها الموسيقى والغناء.

وتكبر هذه السردية الصغيرة إلى ما هي أكثر اتساعا وشمولا لحياة فنانة، تورطت مع العسكر والمخابرات وتاهت حياتها الشخصية، بعدما فقدت عفّتها بطريقة الخديعة المخابراتية وتصويرها جنسيا والضغط عليها لتكون عميلة صغيرة، ضمن فريق الفنانات العميلات للمخابرات.

هذه الخديعة تسببت بها من دون أن تدري والدتها التي تقدمت بشكاوى إلى الملك فاروق بشأن الـ1000 جنيه التي بددها الأب، من دون أن يمنح الفرصة لابنته الصغيرة أن تطوّر نفسها وتتقدم في عالم الغناء. وهو ما لفت رجال المخابرات وأولهم شريف سليم عدلي لتوظيف سعاد الصغيرة للغناء في المناسبات الوطنية والتمجيد للسلطة، تمهيدا لزجها في إجراءات رئيسية تعني العسكر والمخابرات.

> ما بين الوثائقي والخيالي في الرواية تتشكل سيرة روائية دقيقة عن هذه الفنانة في شعرية روائية متسلسلة

الوثيقة الاجتماعية قد تنوّه لإشارة مبكرة في ضياع هذه الفنانة. والسرد قد تعنيه مثل هذه الخلفيات الأسرية التي تعطي إشارات موضوعية عن حالات كثيرة. فالخلاف الأسري بين الأب والأم شتت انتباه الابنة الصغيرة وتركها تعيش في فراغ. بعد طلاق أبويها وزواجهما التالي بشكل متعارض.

أما الخلفية الاجتماعية فتتعدد من مستويات السرد على نحو ما. وتستشير شخصيات أخرى موارية للحدث أو الأحداث التالية؛ كالأميركي سيمون سيروس الذي نقل دفاتر سعاد حسني، وهو الذي انتقل إلى مصر لتأليف "قاموس الجنود" راصدا فيه اللغة التي يستخدمها المارينز في الشرق الأوسط.

ومن الطبيعي أن يكون تحت رقابة المخابرات التي لم تتوانَ في أن تزجه في هذا الصراع السري، وتمنحه فرصة الزواج منها لغرض مرافقتها إلى بغداد لتصوير فيلم "القادسية" التاريخي إلخ.

بين الوثائقي والخيالي

وما بين الوثائقي والخيالي الطافح في الرواية تتشكل سيرة روائية دقيقة عن هذه الفنانة في شعرية روائية متسلسلة ومنطقية، والتي تمثل شكلا من أشكال النتائج السياسية التي مورست بعقلية العسكر ضد الهواة والمحترفين، حتى لتبدو تلك الحاضنة مهيبة وأسطورية وخيالية في تعاملها مع الآخرين، ممن يحاولون الوصول إلى سرديات الإبداع من دون مصدّات ثانوية، غير أن سوء الحظ الذي يرافق سعاد حسني، والتي امتثلت إلى نوازع العسكر، أفقدها الكثير من جمالها ودلعها الطفولي، وهي تحاول أن تخرج من الطوق المرسوم لها، عبر شخصيات ثانوية ورئيسية من العسكر (القاهرة مدينة لا يعمر فيها طويلا غير ضباط في الجيش).

بالرغم من أن الروائي لم يشأ أن يجعل من هذه السردية الطويلة بملامح بوليسية صارمة. غير أن الخيوط التحتانية التي تسيّر هذه الحكاية المثيرة تشرّح الوضع العسكري – المخابراتي السائد آنذاك، عبر الابتزاز الجنسي والأخلاقي، وهو العمود الفقري الاجتماعي الأخلاقي الفضائحي، كورقة عريضة يشهرها العسكر ضد الممتنعين عن التعامل معه، وفي جو شرقي صالح لهذه المناورات الابتزازية.

تناوبت الأصوات السردية في إعادة بناء الهيكل الروائي، مثلما تناوبت الهوامش الثانوية في ضخ المتن الرئيسي السردي بمغذيات خيالية، خلقت جوا متصالحا لديمومة الفعل الروائي، في تتبع هذا الأثر الجمالي بالرغم من قسوته الظاهرة والباطنة لسيرة الألم المفرط الذي عانت منه السندريللا في كفاحها المتواصل ضد نفسها وضد العسكر.

وبالتالي أصبحت الرواية وثيقة درامية في واقعيتها وخيالها في مسرودها الشعري، الذي منح طاقة فنية موازية للواقعي من الرواية. لاسيما دفاتر سعاد حسني التي بَنت معمار الرواية وهندستها، كونها الصوت الأكثر قربا من الواقعة في تدوين حقيقي لعسكرة الفن لصالح السلطة.

نجم والي روائي عراقي يخوض مغامرة سردية عن حياة سعاد حسني

رف الكتب

الحب وخيانة المدن

تريد رواية "مندولين النقيب كوريلي" للإنجليزي لويس دي برنيير أن تقول بعظمة الحب الحقيقي من منظور ندرته وتفوقه على عناصر الحياة الأخرى، فتجعل منه قضية وغاية ووسيلة في الآن نفسه.

يقول برنيير عن جزيرة كيفالونيا اليونانية "إن هذه الجزيرة تخون أهلها، مثلما تخون مدن كثيرة أهلها. وسيخيّل إلى القارئ أن خيانة المدن واحدة من المشتركات الإنسانية في حفريات خيانة الأوطان وضعفها وتردي أحوالها". وسيتضح معنى الخيانة شيئا فشيئا كلما أدركنا المغزى الحقيقي الذي أراده برنيير من خلال التحولات الهائلة في مكان وزمان هذه الرواية "كيفالونيا الساحرة بطبيعتها الخلابة ومن ثم الخاضعة لرعب المحتلين وعبثهم، ثم انتهاء بزلزال العام 1953 الذي دمر الجزيرة ووضعها في مهب الريح العاتية والموجعة".

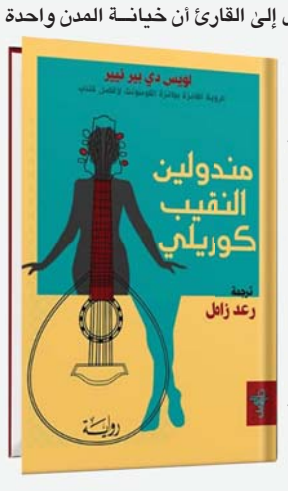

صدرت رواية "مندولين النقيب كوريلي" سنة 1994 وحققت نجاحا لافتا. وقد صدرت أخيرا عن دار تأويل بترجمة الشاعر العراقي رعد زامل.

عائلة نساء ملعونات

السرد الأدبي ساحر في رواية "منزل عائم فوق النهر" للكاتبة اللبنانية زينب مرعي، التي يمكن تصنيفها كرواية نفسية بطلاتها نساء. إذ تعالج قصص حياة ثلاث نساء متحدرات من عائلة واحدة، ومشاكلهن في العلاقة مع الآخرين ومع شركائهن وأبنائهن. غموض وأسرار تلف ماض وحياة كلّ منهن. غرق وموت وانتحار وخيانة وقتل ومعاناة صامتة.

الحفيدة هي الراوية وهي فتاة انطوائية، أسيرة علاقتها المأزومة مع والدتها، تتخبط في علاقة مع زوج يحبّها ويعجز عن الوصول إلى روحها. هي حفيدة وابنة عالقة في فخ، مسجونة في الماضي، وهي بطلة، تحاول استنفار كل قوتها لكسر سلسلة النساء الملعونات في عائلتها.

ويذكر أن الرواية صدرت حديثا عن دار هاشيت أنطوان/نوفل. أما زينب مرعي فهي كاتبة لبنانية (مواليد بيروت 1986)، درست اللغة الفرنسية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية، و"منزل عائم فوق النهر" هي روايتها الثانية بعد "الهاوية" (نوفل 2016).

من مظالم المال

تحكي رواية "الغاب" للكاتب أوبتون سينكلير القصة المأسوية لجرجس رودكوس، الفلاح الليتواني ومجموعة من أقربائه وأصدقائه وكلهم من المهاجرين، الذين عاشوا واشتغلوا وماتوا في منطقة المسلخ. فهناك في باكنجتاون (كما سمى سينكلير منطقة المسلخ) كان المهاجرون يواجهون عمليا، كل الشرور الموجودة في الصناعة والسياسة والمجتمع الأميركي. فهم، لعجزهم عن تكلم الإنجليزية، يتعرضون للاستغلال بكل سهولة ويسقطون ضحايا بين أيدي ذوي السلطة. لقد اضطر جرجس لدفع الرشوة كي يحصل على عمل ويحتفظ به. كما أن وكيل الشركة العقارية يخدعه ببيعه بيتا يخسره في النهاية. ويتعرض هو وعائلته لمظالم لا تحصى، وواحدا إثر الآخر يسحقون بلا رحمة.

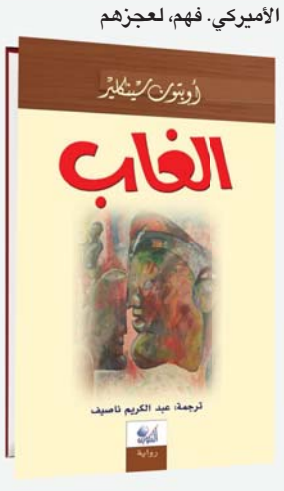

تقارن رواية "الغاب" الصادرة بترجمة عبدالكريم ناصيف عن دار التكوين، بكتابات ليو تولستوي وروائيي القرن التاسع عشر الروس الآخرين. كما تقارن بأعمال روائيين فرنسيين مثل زولا في تشاؤميتها الكاملة، حالة اليأس الأسود الذي يطغى عليها والمأساة التي لا خلاص منها.